رعاد الدرويش

« وكيف تصف شيئا انت في حضرته غائب ، وبوجوده ذائب ، وبشهوده ذاهب، وبصحوك منه سكران ، وبفراغك منه ملآن .. فما ثم الا دهشة دائمة ، وحيرة لازمة، وقلوب هائمة .. »

رابعة العدوية

١ ـ الواحة الضائعة

زلت بي القدم
وانكسرت قارورة الصباح
فلفني الغبار والظلم
وهبت الرياح
من كل صوب .. آه لو شراره
تلمع لي في ظلمة القراره
تضيء لي منائر العماره .
لو انني اراه
تحمل من طفولتي يداه
ثوبا قديما ، مطرا ، حجاره
يصنع من اوراقه طياره
يمد لي اشاره .

يا واحة في اول الزمان
يا واحة في اخر الزمان
يعرفها المسافر الحيران
يلقى لديها الظل والشراب
تلمع من نجد لها قباب
تحمل منها الريح كل آن
الى شفاهي ما ينث السعف الندیان
وحفنة من يابس الريحان .
اعرف ان النخل والعذارى
تحنو على الماء ، وان الظل والجرارا
تنضح ما تحلم فيه شفة العطشان .
كان لنا في صيفك الظليل
كوخ من النسيج والمطر
نأتي اليه كلما اتعبنا السفر
فنغسل الجباه في رذاذ ظلك البليل
ونستريح من طريقنا الطويل .
يا واحتي المثقلة الغصون
يا واحتي المخضلة الجفون
ما لي اضعت خطوتي اليك
من أوصد الابواب في عيوني
اعمى فمن يدلني عليك
يأخذني اليك .

اضعتها
اضعتها
كأن قلبي ما استراح ، ساعة ،
في ظلها
كأنه ما ابتل تحت نخلها
كأنه لم يذق الكرى على يديها ،
لم يقرأ الرحمة في عينيها .
اضعتها
كأنما رأيتها
في الحلم والخيال .
واعطشي كأنني لم اغترف من
مطر الظلال
اضعتها
حتى كأني ، آه ، ما رأيتها .

ايا نسيم البيد في الغروب
ايا نسيما هب في نجد على القلوب
مر على مضارب الجنوب
خذني اليها .. آه خذ فؤادي
خذ عطشي ، خذ حيرة التائه
في البوادي .
خذني اليها .. آه من سواها
يغسل لي سهادي
يبلل الجفون والشفاها .
خذني اليها .. آه يا نسيم
يا رحمة تعرف كل ضائع يتيم .

٢ ـ الكنـز

اصرخ في توحدي
ابحث في تشردي
عن نخلة ومسجد قديم
يأوي اليه مثلما العصفور قلبي
الظامىء اليتيم .
فجرعة من كوزه المبترد
وحفنة من تمره الندي
كنزي الذي وجدته
كنزي الذي فقدته
في رحلتي الخائبة المريره
في حيرتي الضريره .
يا سيدي
يا ايها البديع
يا ايها الجميل كالربيع
خذ بيدي اليه
ودلني عليه .
يا طالما نسيتني
وطالما تركتني
اصرخ في توحدي

ابحث في تشردي
محيرا لا اهتدي
لا احد يأخذني اليه
لا احد يدلني عليه .
يا سيدي
خذ بيدي
خذ بيدي .

٣ ـ ليلى العامرية

نهارك من ليلي وليلك واحد
فخذ من كؤوس السهد واشرب بامعان
تفوح جنان الياس في كل مسلك
وتثقل من ظل ثقيل واغصان
(شربنا على ذكر الحبيب مدامة)
وكانت سرابا لم يعتق في حان
شممت الغضا والشيح ما اطيب الغضا
وما ابعد المحبوب حين دعاني
رمتني النوى من قوسها كل نظرة
مريشة في كل ريح واجفان
فلو كان للايام قلب من الصفا
لفجر فيه الماء وجدي وتحناني
ولكنها كالغيد معسولة اللمى
لها في ثنايا الثغر الف لسان
وطاف الى ليلى بنا موج ظلمة
ورمل وفحل كالنعامة غيمان
فلاح لها لمع اضاء تهامة
وشبت لها نار بغير دخان
فلولا خطى لالتف زند وخاصر
ولكنها لم تبق غير ثوان
(اراني انقضت ايام وصلي منكم
وآذن فيكم بالوداع زماني)
ليلاي لا ماء ولا دليل
لا نسمة تأتي ، وما من غيمة مثقلة
الضروع
وليس من ظل ومن نخيل
غير رماد الريح والجذوع
غير رماد التائه المحترق
ما لاح من شراعه في الافق
طيف وما توهجت من نجمة او لوحت
يدان .
ما امتلأت عيناه بالبرق ، وما تبللت
كفاه
بالمطر الراقص في طفولة الاغصان .
يا قبلة اضاعت الدرب الى الشفاه
يا غيمة تذوب في الفلاه
الزهر اليابس في انتظار
الورق اليابس والريحان والعرار
يا غيمة تذوب في القفار .
ليلاي لا ماء ولا ظلال
ما من يد تشير لي : تعال .
تركتني
تركتني
اجف في الصحارى
احترق انتظارا
ابحث في قشي وفي هشيمي
ابحث في رمادي
تنثره الريح على البوادي
ابحث عن نعيمي
عن جنتي الصغيره
ابحث عن لؤلؤتي الاميره .
ليلاي ادني من فمي القارورة المطيره
مدي الي من عل ضفيره
هزي اليك الجذع .. قد ينتثر الثمر
وترتمي الظلال او ينهمر المطر .

٤ ـ الخروج من الجنة

الحلوة الصغيره
مرت وما ألقت الينا لفتة أخيره
عشت على انتظارها سنين
محترق الشفاه والجبين
اقول : مهلا .. برهة ويخفق الجناح
يغرقني في قطرة من جرة الصباح
يبل روحي ، غربتي المريره
يرد لي الضائع من حنيني

ويمسح التراب عن جبيني
« قلت : انسها
كأن ما قد كان لم يكن .
قلت : انسها
كأنما رأيتها في الحلم والخيال .
فلا أسى يعيدها ولا ابتهال
وحسرة المودعين لن تعود
بالسفن . »
تركتني في زحمة الطريق
في مدن لا يجد العصفور في عيونها
صديق
لا يجد السنونو
بيتا يقيه الريح والمطر .
تركتني
اعتصر الحجر
احلم ان يخضر او يميد بالثمر .
آه من اليد التي تأخذ بالشمال ما
تمنح باليمين
آه من اليد التي تفتح بابا بعده تغلق
الف باب ..
بابا من الضباب
بابا من اللبلاب
اطرقه اليك
مع الشذى الطافح في الكنيسة
الصغيره
مع العصافير ، مع الفراشة الاميره
اشرب من يديك
اشرب من تفاح وجنتيك ،
اقطف ما اشاء
اذوق ما اشاء .

نسيتني
نسيتني
ملقى على قارعة الدرب بلا عينين
بلا لسان ناطق ولا يدين
يأكل من لحمي غراب البين .
يا شمعتي الاخيره
يا حب يا تفاحتي المريره ..
اتيتني في كل ما تملك من عطايا
اغرقتني في كل ما تمنح من هدايا
رمشة عين .. آه واسترجعت كل
شيء
لم تبق حتى بسمة صغيره
لم تبق حتى لفتة قصيره
اخذت كل شيء ، كل شيء
لو كنت ادري ان في بستانك اليباب
وان في اقداحك السراب
لما فتحت الباب .
ومن يدير ظهره اليك ؟
الى بريق اللؤلؤ العجيب في يديك ؟

موسكو — **حسب الشيخ جعفر**